

ندوة

ندوة جامعة بيرزيت عن التاريخ الشفوي: اتجاهات ومشكلات

اختارت جامعة بيرزيت الذكرى الأربعين لهزيمة الخامس من حزيران/يونيو 1967 لتعقد ورشة عمل بعنوان: "فلسطين حية". وكانت الغاية المباشرة لهذه الورشة إعادة إحياء مركز أبحاث جامعة بيرزيت الذي كان من أبرز أهدافه إعادة تسجيل التاريخ الشفوي لفلسطين. وقد استغرقت الورشة التي افتتحها الدكتور غسان الخطيب ثلاث جلسات؛ أدار الدكتور سميح شبيب الجلسة الأولى التي تحدث فيها كل من إياد الرياحي ومصطفى كبها وجهاد المصري. وأدار الدكتور إسماعيل الناشف الجلسة الثانية التي تحدث فيها صالح عبد الجواد* وسونيا النمر. أما الجلسة الثالثة الأخيرة فكانت مقصورة على إسماعيل الناشف الذي قدم عرضاً لخطة مستقبلية في هذا الحقل من المعرفة. وفيما يلي عروض موجزة لهذه الأوراق. ■

(1) ورقة إياد الرياحي**

"الجهود الفلسطينية في مجال التاريخ الشفوي: بين العمل الفردي وغياب التقويم"

ذكرت هذه الورقة أن اهتمام الباحثين الفلسطينيين والأجانب بالتاريخ الشفوي الفلسطيني بدأ منذ نحو ثلاثة عقود. وعلى الرغم من الجهد المبذول وأهمية ما تم إنجازه فإن الفائدة لم تتحقق بعد لأن هذا الجهد ما زال مبعثراً ومهدداً بالضياح لغياب المؤسسات التي ترعاه. وفي الضفة الغربية ظهر، منذ أواسط الثمانينيات، عدد من الباحثين الذين عملوا على إنجاز مشاريع بحثية متعددة في التاريخ الشفوي. وفي أواسط التسعينيات لوحظ ازدياد البرامج والمؤسسات المهتمة بهذا المجال بالتزامن مع ازدياد المنظمات الأهلية نتيجة التحول السياسي الذي شهده المجتمع الفلسطيني. فبعض المؤسسات الأهلية، التي نشأت خلال مرحلة التسعينيات، خصص بعض الجهد لتجميع الروايات الشفوية انطلاقاً من الإيمان بأن التاريخ الشفوي أداة مهمة في تسجيل التاريخ السياسي والاجتماعي المغيب للشعب الفلسطيني، بما في ذلك تاريخ المرأة الفلسطينية بصفتها واحدة من الفئات الاجتماعية التي لم ينصفها التأريخ المدون حتى الآن. ولم ينتبه المؤرخون الفلسطينيون، إلا في وقت متأخر نسبياً، لأهمية استخدام هذا التاريخ من أجل تدوين تاريخهم السياسي والاجتماعي المعاصر الذي هيمن عليه حتى الآن المنتصر الإسرائيلي. ويتحمس آخرون لفكرة تقول إن التاريخ الشفوي يشكل أداة قانونية مهمة لمحاكمة عصابات الإجرام الصهيونية لأن هناك ميلاً اليوم، في القانون الدولي، إلى اعتماد الشهادة الشفوية دليلاً قانونياً. فقد اعتمدت الحكومة الأميركية مؤخراً على 27 شهادة شفوية لسكان من إقليم دارفور من أجل استصدار قرار في مجلس الأمن يفرض عقوبات على السودان. وقد اندفع بعض المراكز النسوية إلى الاهتمام بالتاريخ الشفوي من منظور النوع الاجتماعي. ففي آذار/مارس 2005 عقد المؤتمر النسائي الدولي في مدينة البيرة ودعا إلى تسليط الضوء على قضية التهجير وإيلاء الذاكرة أهمية قصوى مع ضرورة تفعيلها من منظور النوع الاجتماعي. وهدف المؤتمر إلى توثيق تجارب النساء والتعريف بدورهن في نقل الذاكرة، والحفاظ عليها بطابع نسوي، واعتبار التاريخ الشفوي مصدراً مهماً لمعرفة تاريخ النساء الذي أهمل وأسقط في التاريخ المدون. ومن خلال وزارة شؤون المرأة تم إنجاز 190 شريطاً مسجلاً أشرفت عليها فيحاء عبد الهادي. وفي مدينة البيرة تركّز نشاط مركز دراسات التراث والمجتمع في جمعية إنعاش الأسرة على تدريب فرق للعمل الميداني، لتقوم بعدها برصد وتدوين ما حدث وما يحدث على يد الاحتلال الإسرائيلي تجاه الشعب الفلسطيني من عدوان مستمر منذ بداية المشروع الصهيوني حتى اليوم. ومن الأمثلة لذلك: تدوين بعض الروايات عن الشهداء والمعتقلين؛ قصص عن الاجتياح الإسرائيلي للمدن سنة 2002؛

تجارب حياة من بعض كبار السن؛ سلوك جنود الاحتلال على الحواجز العسكرية، وغيرها الكثير. وفي مدينة طولكرم نشط "ملتقى التراث والتاريخ الشفوي" التابع لـ "الهيئة الفلسطينية لتنمية مواهب وقدرات الشباب" (شعاع) لتسجيل التاريخ الشفوي من أجل الحفاظ على الذاكرة والهوية الوطنية وتعزيزهما، والمساهمة في كتابة الرواية الوطنية الفلسطينية، وتفنيد رواية الآخر التي تبرر الظلم والإجحاف اللذين لحقا بالشعب الفلسطيني. بينما ضمت مجموعة "المؤسسة الفلسطينية للتبادل الثقافي" في البيرة أكثر من 700 شريط صوتي وأكثر من 40 شريط فيديو، وهناك 300 مقابلة مطبوعة، منها 60 مقابلة مترجمة إلى اللغة الإنكليزية. وقد احتوت هذه المقابلات موضوعات متنوعة من ثورة 1936 والانتفاضة الأولى ثم الثانية والتراث الثقافي والحرف اليدوية التقليدية. وفي رام الله أيضاً سجلت "مؤسسة تامر للتعليم المجتمعي" أكثر من 80 مقابلة شفوية مع شبان كان لهم دور مميز في الانتفاضة الأولى ضمن مشروع نفذته المؤسسة عن التاريخ الشفوي للانتفاضة الأولى.

وعلى شبكة الإنترنت ظهر موقع "فلسطين في الذاكرة" في سنة 2000، وهو يعتبر واحداً من المواقع الفلسطينية المهمة، ويتميز بإتاحته الفرصة لزواره كي يشاركون في تغذية المعلومات عن كل بلدة من خلال معلوماتهم ومستنداتهم المحفوظة وتجاربهم والصور التوثيقية التي يمتلكونها. وحتى الآن تم إضافة 9000 صورة ومئات المقالات وأكثر من 20 فيلماً للقرى المدمرة. ويهدف هذا الموقع أيضاً إلى التعريف بأكثر من 530 قرية دمرها الاحتلال. لذا نجد في الموقع نبذة تاريخية وصوراً وقصصاً عن كل قرية من تلك القرى، ومنتدى يسهل الترابط بين الباحثين وأهل البلد. فضلاً عن ذلك يحتوي الموقع على 270 مقابلة تتضمن 1000 ساعة تسجيل يمكن مشاهدتها وسماعها عبر الموقع.

أمّا في الجامعات، فقد أصدرت وحدة الإعلام (زاجل)، التابعة لدائرة العلاقات العامة في جامعة النجاح، كتاباً عن الروايات الشفوية للشهود العيان على حرب 1948 يتضمن 112 صفحة مجموعة من الروايات لمجموعة من اللاجئين الفلسطينيين الذين تم تهجيرهم من مدنهم وقراهم في أثناء تلك الحرب. وفي جامعة الخليل بقي النشاط محدوداً في مجال التاريخ الشفوي. ويشكو العاملون في هذا الحقل عدم وجود تمويل كاف. وعلى الرغم من ذلك فقد سجل العديد من المقابلات بإشراف أساتذة من دائرة التاريخ في الجامعة في مخيم الفوار والبلدة القديمة في الخليل. وفي حزيران/يونيو 2007 عقدت جامعة القدس المفتوحة والمركز الثقافي في خان يونس مؤتمراً عن دور التاريخ الشفوي في الحفاظ على الهوية الوطنية الفلسطينية، قدم فيه العديد من الأوراق والمساهمات البحثية.

وفي جامعة بيت لحم تنشط مجموعة من الطلبة بإشراف عدنان مسلم في هذا الحقل، وهي تجربة ابتدأت في سنة 1993. وعلى الرغم من مضي أربعة عشر عاماً على هذه التجربة فإنها لم تتحول إلى فعل مؤسسي، وظلت مقصورة على فرد واحد. وخلال تلك الأعوام الطويلة جرى تجميع مئات التسجيلات التي ما زالت على حالها، أي مادة خام بحاجة إلى تفرغ وتدقيق وتحريير وتصنيف. وهذه المواد تشتمل على ذاكرة الناس عن الحرب العالمية الأولى، وثورة 1936، والنكبة.

وتضم جامعة بيرزيت أحد أكبر أرشيفات التاريخ الشفوي. وربما كان مركز التوثيق والأبحاث التابع للجامعة أول مؤسسة فلسطينية تلتفت إلى الرواية الشفوية، وكانت البداية مشروع سلسلة القرى المدمرة الذي صدر عنه اثنتان وعشرون نشرة وكتاباً في هذا المجال. وكذلك مشروع صفحات من الذاكرة الفلسطينية الذي عمل عليه المركز من سنة 1992 إلى سنة 1999، وصدر عنه ثمانية كتيبات عن عدد من الشخصيات الفلسطينية المعروفة. وتأتي مبادرة جامعة بيرزيت إلى إنشاء مركز للتاريخ الشفوي لتلبية لحاجات مجتمعية وأكاديمية، ومحاولة لتوحيد جهود المهتمين والمراكز الفلسطينية العاملة في هذا المجال. أمّا الجهود السابقة فلم تفض إلى قيام هيئة وطنية على الرغم من أنه تم في سنة 2005 إعلان تأليف شبكة للتاريخ الشفوي الفلسطيني. وهذا ما نتج بعد يومين من النقاش المكثف في ورشة عمل عن التاريخ الشفوي الفلسطيني، عقدت في منتدى الفكر العربي خلال 7 - 8 أيار/مايو 2005. ■

(2) ورقة مصطفى كبحا***”الرواية الشفوية للتاريخ الفلسطيني:
إشكاليات جمعها وتوثيقها”**

افتترضت هذه الورقة أن من الضروري وضع معايير مهنية واضحة تحدد كيفية التعامل مع المادة الشفوية الخام، وكيفية مساهمتها في صوغ الرواية السردية التاريخية الفلسطينية. واقترحت بعض الأفكار التي ربما تساهم في صوغ قاعدة للعمل في سبيل النهوض بالجهود المبذولة في هذا المجال. وهذه النقاط هي:

(1) ضرورة التشديد على أهمية الرواية الشفوية بسبب التدمير الذي تعرض له الموروث الثقافي الفلسطيني في أثناء نكبة 1948 وما تلاها من كوارث مثل تدمير الحواضر المدنية الرئيسية وعمقها القروي، والمحتويات الأرشيفية للمؤسسات الثقافية والسياسية، والمكتبات العامة والخاصة.

(2) ضرورة التنسيق بين العاملين في جمع الرواية الشفوية أفراداً ومؤسسات: منذ أواسط الثمانينيات من القرن الماضي جرت محاولات فردية ومؤسساتية لاستعمال شذرات من الرواية الشفوية. ولعل مشروع مركز الأبحاث في جامعة بيرزيت عن القرى الفلسطينية المدمرة، الذي لم يكتب له أن يكتمل، هو المشروع الرائد في هذا المجال. وفي أيار/مايو 2005 كان هناك محاولة لجمع جهود جميع المهتمين بجمع الرواية الشفوية الفلسطينية بغرض التنسيق بينهم من خلال شبكة شاملة. وجرى الاجتماع في عمان وأقر البدء بإقامة الشبكة. لكن ما تم إنجازه منذ ذلك التاريخ لم يرتق إلى المستوى المأمول.

(3) ضرورة توضيح مهمات العاملين في المجال: من الواضح أن الرواية الشفوية تفقد كونها ”شفوية“ فور جمعها وتوثيقها والتعامل معها معالجة وتحليلاً. ومن الضروري التأكيد أن لكل مرحلة من المراحل قواعد عمل، وأن لكل شخص عامل في كل مرحلة من المراحل يجب أن تتوفر ملكات مناسبة لكل مرحلة إذ ليس من الضروري أن يكون جامع الرواية أو الموثق مؤرخاً عالمياً بأصول ”الجرح والتعديل“. ومع ذلك، من الضروري أن تتوفر لديه ملكات أخرى كالقدرة، والصدق، والقدرة على المسح الجاد للرواة الممكنين، وكيفية بناء حالة من الثقة معهم ليتسنى إخراج الشهادة بأقصى درجات دقتها وتجسيدها للطاقة الكامنة في ذاكرة الراوي.

(4) تحديد نظام وترتيب الأولويات للعمل: ليس من نافلة القول التشديد على الحاجة الماسة، حالياً، إلى عملية جمع الروايات الخام بحذافيرها، وتوثيقها كما قيلت تماماً على لسان الراوي، على أن تترك عملية المعالجة والنقد والتحليل والتدوين للمؤرخين الذين يمكن أن يقوموا بعملهم هذا في مراحل لاحقة. فالأمر الآن هو إجراء مسح كامل للرواية والشهادات الممكنة مع إعطاء الأولوية للفئات العمرية الكبيرة (75 عاماً فما فوق)، وعدم التوقف كثيراً عند تقنيات استعمال آلات التسجيل والكاميرات وما إلى ذلك من المغالاة بالتشديد على تلك التقنيات وكأنها صلب الرواية الشفوية وقلبها النابض التي لا يمكنها الحياة إلا به.

ويمكننا الافتراض أن بعض الشهادات المتوفرة حالياً لا يحتمل التأجيل أو التلكؤ، ومن المفضل جمعها أو تسجيلها بأي وسيلة، وهي معرضة للضياع فور موت صاحبها أو فقدان قدرته على الكلام. ومن المؤكد أن الوقت في هذا المجال لا يعمل لمصلحة جمع الروايات الشفوية وتوثيقها. ■

(3) ورقة جهاد المصري***”التاريخ الشفوي في قطاع غزة:
قراءة في الإنجازات وتوجه نحو التطلعات”**

رأى جهاد المصري أن قيام السلطة الوطنية الفلسطينية في الأراضي الفلسطينية كان عاملاً مؤثراً في توفير حرية البحث في مجال التاريخ الشفوي داخل قطاع غزة بعدما كان العمل في ذلك محاصراً في إبان الاحتلال الإسرائيلي. فقد نشطت في عهد السلطة الوطنية حركة البحث في مجال التاريخ الشفوي على مستوى الأفراد والمؤسسات، كما أنشئت مراكز في الجامعات متخصصة بالتاريخ الشفوي، وكذلك أنشئت في قطاع غزة عدة مراكز بحثية رسمية

وأهلية أظهرت اهتماماً واضحاً بالتاريخ الشفوي. ومن أهم مراكز التاريخ الشفوي في قطاع غزة، مركز التاريخ الشفوي الفلسطيني التابع لجامعة القدس المفتوحة - منطقة خان يونس التعليمية. وقد أنشئ هذا المركز في كانون الثاني/يناير 2002، ومن أهم إنجازاته إصدار دراستين، الأولى بعنوان "مخيم كندا للاجئين الفلسطينيين برفح سيناء 1982 - 2000: دراسة شفوية وثائقية"، وهي من إعداد جهاد سليمان المصري وعدنان أحمد أبو شبكية. أما الدراسة الثانية فهي بعنوان "الشهداء يعودون: دراسة توثيقية شفوية عن شهداء انتفاضة الأقصى بمحافظة خان يونس". وقد صدرت هذه الدراسة بالتعاون مع "مركز بناء الغد" في جمعية الثقافة والفكر الحر سنة 2002، وأشرف عليها صلاح العاوور و جهاد سليمان المصري ومريم زقوت وآمال خضير. وقد توقف هذا المركز عن العمل سنة 2004 بسبب عدم وجود كادر متخصص ومتفرغ للعمل فيه. وهناك مركز آخر متخصص بالتاريخ الشفوي هو مركز التاريخ الشفوي التابع لكلية الآداب في الجامعة الإسلامية، وقد أنشئ سنة 1998، ومن أهم إنجازاته: إصدار دراسة تاريخية بعنوان "الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في قرى غزة قبل عام 1948". وقد صدرت هذه الدراسة سنة 2003، وهي من إعداد محمد الطي وصباح مصباح أبو حلبية، وإشراف زكريا السنوار. كما أصدر المركز دراسة أخرى بعنوان "ذكريات غزة"، تتضمن معلومات عن الطب الشعبي الفلسطيني والألعاب الشعبية الفلسطينية. كما عقد المركز عدة دورات ومحاضرات عن التاريخ الشفوي، ومؤمراً خاصاً بالتاريخ الشفوي تحت عنوان "التاريخ الشفوي: الواقع والطموح". وهناك مراكز علمية أخرى في قطاع غزة لها اهتمامات بالتاريخ الشفوي مثل: المركز القومي للدراسات والتوثيق الذي أنشئ سنة 1997، والذي أصدر مجموعة من الدراسات التي استندت في مادتها العلمية إلى الشهادات الشفوية، نذكر منها: "المجدل عسقلان: تاريخ وحضارة" لمحمود صالح (1999)؛ "بيت جرجا: تاريخ وتراث" لأحمد إبراهيم ماضي (2000)؛ "قطرة: الهوية والتاريخ" لجمال عبد الرحيم القطراوي (2000)؛ "الجية: الأرض والإنسان" لخضر محجز (2003)؛ "برير في الذاكرة والتاريخ" لعائش عبيد (2003). ومن هذه المراكز نذكر أيضاً جمعية الذاكرة الفلسطينية في رفح التي أنشئت سنة 1999، ومن نشاطاتها في مجال التاريخ الشفوي: "مشروع سجل الخالدين"، وهو مشروع يهدف إلى جمع معلومات وصور لشهداء مدينة رفح منذ سنة 1948. وأصدرت الجمعية نشرة عن "مذبحة المدرسة الأميرية برفح سنة 1956".

أما عن مؤتمرات التاريخ الشفوي، فقد شهد القطاع عقد مؤتمرين متخصصين بالتاريخ الشفوي، الأول عقده مركز التاريخ الشفوي في الجامعة الإسلامية في الفترة 15 - 2006/5/16، تحت عنوان "التاريخ الشفوي: الواقع والطموح"، وقد اشترك فيه نحو أربعين باحثاً من داخل فلسطين، علاوة على باحثين من مصر والسعودية. أما المؤتمر الثاني فعقدته منطقة رفح التعليمية - جامعة القدس المفتوحة في الفترة بين 2 - 2007/6/3، تحت عنوان "دور التاريخ الشفوي في الحفاظ على الهوية الوطنية الفلسطينية". وقد اشترك في هذا المؤتمر نحو خمسين باحثاً من قطاع غزة والضفة الغربية والأراضي المحتلة سنة 1948، كما اشترك فيه عدد من الباحثين من كندا والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا.

كذلك عقد في قطاع غزة بعض ورش العمل والندوات والدورات التدريبية الخاصة بالتاريخ الشفوي، نذكر منها: ورشة عمل نظمتها جامعة القدس المفتوحة - منطقة خان يونس التعليمية في حزيران/يونيو 2000، وتهدف إلى إحصاء عدد شهداء المدينة، وتوثيق المجازر الصهيونية التي ارتكبت بحق سكانها. وقد تم في هذه الورشة تدريب نحو خمسين طالباً من الجامعة وعدد من المهتمين في بلدية خان يونس على طريقة تسجيل الرواية وكيفية التحقق من صحتها وفهرستها. كما نظمت جمعية الثقافة والفكر الحر في خان يونس في تشرين الأول/أكتوبر 2002 ندوة لمناقشة دراسة شفوية بعنوان "الشهداء يعودون".

وعقد مركز التاريخ الشفوي في الجامعة الإسلامية دورة لتدريب كادر من المركز وتأهيله للعمل في مجال التاريخ الشفوي. ■

(4) ورقة سونيا نمر*

"رؤية نقدية لعملية التأريخ الشفوي
في الحالة الفلسطينية"

عالجت ورقة سونيا نمر مفهوم "الرواية الشفوية" وجدوى الجهد المبذول في هذا الميدان. وعرضت كيف أن استخدام الرواية الشفوية منهجاً للبحث راح منذ نحو خمسة عشر عاماً يتسع بسرعة مطردة. وازداد في العالم عدد الدراسات والأبحاث التي تعتمد هذا المنهج ازياداً كبيراً ولافتاً. لكن، وعلى الرغم من ذلك فإن سمة التردد والشك وعدم الثقة بهذا المنهج ما زالت تشوب موقف المؤرخين الكلاسيكيين والأوساط الأكاديمية التي تشكك في صدقية هذا المنهج وقدرته على تقديم ما سموه "الحقائق". فهم ينتقدون هذا المنهج على أساس أن ذاكرة الإنسان ليست دقيقة، وأن العامل الذاتي لكل من الراوي والباحث، إضافة إلى تأثير المجتمع وثقافة الفرد والوضع السياسي، يتدخل في آلية التذكر.

هذا النقد بحد ذاته، وبشكل مجرد، صحيح. وربما هذا هو الشيء نفسه الذي يجعل التاريخ الشفوي مميزاً وفريداً. أمّا من حيث الدقة والصدق، فإن هذا يعتمد تماماً على ماهية الرسالة التي يحاول الباحث/المؤرخ إيجاد إجابات عليها. فالمتخصص بعلم اللغة قد يبحث في الرواية عن التنوع اللغوي وطريقة الكلام والمصطلحات المستخدمة لدى الراوي؛ أي أن هذا المتخصص يبحث عن نوع آخر من الصدقية أو الحقائق غير تلك التي يبحث عنها المؤرخ المعني بالأحداث السياسية مثلاً، أو ذلك الباحث في علم الاجتماع أو الأنثروبولوجيا.

إن التاريخ الشفوي منهج بحث وليس غاية بحد ذاتها. إنه وسيلة ومحاولة لإعادة رسم حياة أو حقبة زمنية بأحداثها وتفصيلاتها، وحتى بألوانها ورائحتها، لأن شفوية هذا المنهج تمنحه تلك الخاصية التي تجعل التفصيلات تولد مزيداً من التفصيلات لتخلق في النهاية كائناً حياً هو تاريخنا.

ولا بد من التأكيد هنا أن التاريخ الشفوي ليس بديلاً من التاريخ المكتوب أو الوثيقة، ولا يعمل منعزلاً عنهما في الوقت ذاته. وعليه، فالمسألة هنا لا تحتل المقارنة بين الاثنين.

ما هي الرواية الشفوية إذاً؟ كيف يجب أن تكون؟ هل هناك مقاييس أو معايير تحدد جودتها ومواصفاتها؟ هل تتعلق بالأحداث السياسية فقط، أم يمكنها أن تغطي موضوعات أخرى حياتية؟ هل هي ذكريات شخصية عن حدث عام أو خاص؟ هل هناك أولويات لموضوعات أو أحداث يجب التطرق إليها، وخصوصاً في فلسطين؟ وإذا أردنا التركيز على فترات زمنية أو أحداث سياسية، مثل نكبة 1948 أو حرب 1967، أو على شخصيات عامة، ألن يضيع ما تبقى من التاريخ، مثل الفولكلور والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والموسيقى.

بما أن التاريخ الشفوي هو منهج بحث فهو إذاً متعدد الاستعمالات (multidisciplinary)؛ بمعنى أن هذا المنهج يمكن استعمله في معظم العلوم الإنسانية إن لم يكن كلها.

وعملية التذكر أكثر تعقيداً من مجرد أن يسأل الباحث سؤالاً ويجيب عنه الراوي. فالراوي يتذكر القضايا مجبولة ومختلطة بمشاعر وعواطف وردات فعل وأمنيات ومحاولات دائبة لإعادة صوغ الذكريات وفهمها. وتكمن أهمية الرواية الشفوية لا فيما تكشفه من حقائق أو أحداث، وإنما فيما يعتقد الراوي أنها حقائق. أي كيف يتذكرون الحدث وليس ما يتذكرونه من الحدث. وعلى هذا، فليس مطلوباً من التاريخ الشفوي الإجابة الشافية والوافية والدقيقة عن أسئلة محددة تتعلق بحدث سياسي معين. فإذا أردنا الحصول على تواريخ أحداث سياسية وأرقام وخرائط، يمكن الرجوع إلى الوثائق والمراجع والجرائد. فالتاريخ الشفوي كمنهج ليس مطلوباً منه أن يقوم بهذه المهمة. ■

(5) ورقة إسماعيل الناشف*

”حول تحديد أولويات مشروع التاريخ الشفوي“

يعتقد إسماعيل الناشف أن معظم الاتجاهات الفكرية، المنبثقة من تيارات سياسية محددة، أو تلك الاتجاهات المستقلة إلى حد ما، يرى أن الشفاهة مخزون اجتماعي تاريخي خام من المفترض أن يتم استخدامه كرافد ثانوي لتدعيم الثقافة الوطنية المكتوبة. أما في الممارسة الفكرية والسياسية فيتم التعامل مع مجمل الحقل الشفاهي/الأدائي من منطلق فوقية المكتوب ودونية الشفاهية، هذه الدونية التي يعبر عنها بأشكال متنوعة ومتباينة بحسب السياق والظرف الذي تتم فيه. وحتى الآن لم يتم التعرض لهذه القضية بصورة مباشرة، لكننا نرى في بعض الكتابات النقدية عن الثقافة الفلسطينية مدخلاً جيداً للبدء بهذا تحليل ونقاش.

يناقش فيصل درّاج في مختلف كتاباته فشل علم التاريخ المكتوب، في العالم العربي عامة، وفي السياق الفلسطيني خاصة، في كتابة تاريخ المغلوبين، ويقارن هذا الفشل بنجاح الرواية، كنوع أدبي، في حشد قضايا إنسانية وجودية تميز المغلوبين، بشتى أنواع غلبتهم، لتنفجر كشكل محدد من الذاكرة. وهو يرجع الفشل/النجاح إلى العلاقة بين المشروع المعرفي والسلطة. فعلم التاريخ هو الابن البار لدولة – القومية في العالم العربي، بينما يُعدّ درّاج الرواية خارج الدائرة، المباشرة، لما هو سلطة سياسية. وبالاعتماد على هذه المداخلة، وأبحاث أخرى طبعاً، من الممكن البدء بالمقولة التالية: فشل التاريخ المكتوب، حتى الآن على الأقل، في كتابة القصة الفلسطينية، بينما حفظ الوعي الأدائي هذه القصة بمختلف تحويراتها عبر عدة أجيال منذ النكبة إلى يومنا هذا. ليس هنا المكان للدخول في حيثيات هذا النمط من الفشل، أو من الحفظ. ما يهمنا هو، في الحقيقة، إنشاء جسد معرفي نقدي مواز ومتقاطع مع القصة الفلسطينية، كما حفظها الوعي الشفوي/الأدائي، أي تفكيك الهرمية السائدة بين الشفاهة والأداء، من جانب، وبين الكتابة، من جانب آخر؛ بحيث يتم إنشاء علاقات جديدة بينهما تعتمد الندية المعرفية من دون تفضيل شكل على آخر. من هنا، فإن الاستراتيجية الأساس لمركز التاريخ الشفوي هي العمل الجماعي على استخلاص بنية الوعي الشفوي/الأدائي، من جانب، وإعادة موضعة العلاقة بين نتيجة هذا العمل الذي يعتمد الكتابة بشكل علاقة ندية بين الكتابة وبين الشفاهة والأداء، من جانب آخر. ■

(*) نشرت ”مجلة الدراسات الفلسطينية“ ورقة صالح عبد الجواد في العدد 64 (خريف 2005) تحت عنوان: ”لماذا لا نستطيع كتابة تاريخنا المعاصر من دون استخدام التاريخ الشفوي؟ حرب 1948 كحالة دراسية“.

(**) باحث فلسطيني مقيم برام الله.

(*) محاضر في جامعة بئر السبع (جامعة النقب).

(*) باحث فلسطيني مقيم بغزة.

(*) محاضرة في قسم التاريخ في جامعة بيرزيت.

(*) محاضر في دائرة علم الاجتماع والإنسان في جامعة بيرزيت.

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: majallat@palestine-studies.org
يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعتها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
http://www.palestine-studies.org/ar_index.aspx